الفصل العاشر

الإرهاب والخطاب الإعلامي

الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الورقة إلى الإجابة على تساؤل محدد... إلى أي مدى يستفيد الإرهاب من التغطية الإعلامية؟ وإلى أي مدى تستفيد وسائل الإعلام من الإرهاب؟ على نحو أبسط: هل توجد مصالح مشتركة أو علاقات تبادل وتعايش بين وسائل الإعلام والإرهاب؟

لقد طُرح *Do terrorism and the media have a symbiotic relationship?* **Wardlaw** هذا التساؤل منذ أكثر من ربع قرن وبالتحديد في العام ١٩٨٢، و منذ هذا الوقت حتى الآن لا يزال الجدل قائمًا حول طبيعة العلاقة بين الطرفين "الإرهاب والإعلام"، وأوجه الاستفادة المشتركة بينهما، لقد جاء هذا التساؤل في إطار مجهودات فكرية وبحثية متنوعة تشير في معظمها إلى وجود مصالح مشتركة تجعل التعاون بين الطرفين له ما يبرره، ومن هذه الأطروحات الفكرية ما يؤكد على أن وسائل الإعلام هي أفضل صديق للإرهاب، وأن الإرهاب يمثل منتجًا طبيعيًا للحرية، وبخاصة حرية الصحافة، وأن المعالجات الإعلامية هي شريان الحياة للإرهاب والإرهابيين، وأن مقاومة الإرهاب تتطلب حرمان الإرهابيين من الوصول لوسائل الإعلام، باعتبارها الرئة التي يتنفس منها الإرهابيون. وفي مقابل ذلك انتهى **Picard 1993** إلى عدم وجود دليل علمي يعزز من صدق هذا التصور النظري، مما دفع هذا الباحث إلى إنكار وجود أي علاقة سببية بين المتغيرين: التغطية الإعلامية للإرهاب وزيادة العمليات الإرهابية، بما ينفي التصورات النظرية التي طرحها المفكرون والسياسيون وغيرهم ممن بالغو في التأكيد على وجود علاقة "السبب والنتيجة" بين المعالجة الإعلامية للإرهاب وزيادة وتيرة العنف الإرهابي. وبناء عليه تبنى هذا الباحث وغيره ممن هم على شاكلته الدعوة لعدم فرض قيود

على حرية الصحافة وحرية التعبير وحق المعرفة وحقوق الإنسان بصفة عامة، وهي القيود التي دعا إليها أنصار الاتجاه الأول للحد من النتائج السلبية للإرهاب، فإذا كانت التغطية الإعلامية تقود بالضرورة إلى المزيد من الحوادث الإرهابية، فإن الحل يكمن – من وجهة نظرهم- في منع وصول الصحفيين إلى مصادر الإرهاب، وفي الحد من التغطية الإعلامية للحوادث والعمليات الإرهابية.

هذه الورقة ليست إلا محاولة متواضعة لتفسير الجدل السائد حول طبيعة العلاقة بين الإرهاب والخطاب الإعلامي، بغية الإجابة على التساؤل السابق: هل هناك علاقات تعايش وتكافل بين الطرفين..... وإلى أي مدى..... وهل يوجد دليل علمي يؤيد ذلك، وما هي بدائل السياسات التي يمكن اتخاذها للحد من الأثر السلبي للتغطية الإعلامية للإرهاب.... إن كان هناك أثرًا سلبيًّا..

الضوابط المنهجية:

١. الإجابة على التساؤل المطروح تعتمد على مراجعة عدد من الدراسات العلمية في هذا التخصص، وهي في معظمها تعكس فكرًا غربيًّا عن الظاهرة موضع الدراسة مما حدا بالباحث أن يكون حذرًا في قبول التعميميات والنتائج، فالتعامل مع الإرهاب إعلاميًّا يختلف من مجتمع لآخر بل من وسيلة إعلامية لأخرى داخل نفس المجتمع حسب رؤية كل وسيلة لما يُسمَّى بالإرهاب.

٢. على الرغم من أن العالم العربي والإسلامي هو الضحية، وهو المتهم في أغلب أدبيات الإرهاب إلا أنه يندر وجود دراسة علمية تتناول العلاقة بين الإعلام والإرهاب، باستثناء بعض الدراسات التي تتخذ من تحليل المضمون أداة لها، ومن البحث في كيفية المعالجة الإعلامية هدفًا، دون أن تحاول الكشف عن العلاقات المتشابكة بين طرفين أصبحا يحددان معالم سياسات القرن الحادي والعشرين، ولذلك لم يكن بإمكان الباحث الاستفادة من الفكر الإعلامي العربي في هذا المجال، فالعرب كالعادة ما يعرفون أنفسهم عبر قراءات وتحليلات الغرب لهم.

٣. إن أي نتائج تشير إلى إمكانية استفادة الإرهابيين من التغطية الإعلامية لا ينبغي أن تمثل مبررًا تعتمد عليه الحكومات لتقييد حرية الصحافة، فما أكثر القيود التي تكبل حرية الصحافة في مصر والعالم العربي، وعلى الفكر العربي أن يوازن بين مجمل النتائج الإيجابية لحرية الصحافة، والآثار الجانبية لهذه الحرية ومن بينها احتمال استفادة بعض الجماعات الإرهابية من التغطية الإرهابية، ليكتشف أن الإيجابيات أعم وأشمل، وأن حرية الصحافة لا يمكن المساومة عليها إذا كان لهذه المجتمعات أن تنبؤا مكانًا لها في القرن الحادي والعشرين.

٤. أن أي معالجة لقضايا الإرهاب في علاقتها بالإعلام لا يجب أن تغفل المنظور الكلي للعلاقات المجتمعية المتشابكة بين طبيعة النظم السياسية - والتي تمثل نظم الصحافة والإعلام جزءًا منها من جانب - والعمليات الإرهابية من جانب آخر، فالنظم السياسية الديمقراطية ذات النظم الصحفية المتنافسة سوف تقود بالضرورة إلى إتاحة فرص التعبير السلمي أمام كافة التيارات السياسية للدرجة التي تقل إن لم تنعدم معها الجماعات السرية والتنظيمات الإرهابية، وفي المقابل فإن كبت النظم السياسية ذات الديكور الديمقراطي للحريات السياسية مع وجود نظم إعلامية سلطوية سوف يعمل بالضرورة على الحيلولة دون التنفيس عن مكبوت الجماعات السياسية ذات الاتجاهات المناوئة للنظم القائمة، بما يحيلها من جماعات معتدلة إلى جماعات متطرفة ومن هذه الأخيرة إلى جماعات إرهابية.

٥. إن التصور الذي انتهى إليه من يرون في حرية الصحافة السبب في وقوع المزيد من العمليات الإرهابية، قد يرجع إلى أنهم يقصرون دراستهم على التغطية الإعلامية اللاحقة لحوادث الإرهاب، وكأنها السبب الرئيسي في رفع حدة الإرهاب المترتب على الدعاية أو التغطية الإعلامية، وهذه نظرة قاصرة لأنها لم تأخذ عنصر الزمن في الاعتبار، إذ لو كانت حرية الصحافة قد أُتيحت بمعناها الحقيقي - والذي يشمل حرية التعبير وحرية التأثير - لمثل هذه الجماعات

الإرهابية قبل قيامها بعملياتها الإرهابية لكان من الممكن ألا توجد هذه الجماعات أصلاً، ذلك أن حرية الصحافة الحقيقية المصونة دستوريًا كفيلة بالحد من ظهور هذه الجماعات ومقاومتها، إن لم تكن قادرة على منعها. فالصحافة الحرة هي المؤسسة الاجتماعية الأكثر تأثيرًا في وجود نظام سياسي مستقر يخلو من الإرهاب، حيث تمنح فيه الفرص المتكافئة لجميع التيارات الفكرية والسياسية- بغض النظر عن اتجاهها- للتعبير عن فكرها للمشاركة في الحكم وتداوله بالطرق السلمية، أو الحصول على حقوقها التي تراها مشروعة. ولا يقلل من شأن هذا التصور أن معظم عمليات الإرهاب الدولي الأخيرة كانت تستهدف دولا غربية، ذلك أن السبب لم يكن في غياب الصحافة الحرة في هذه المجتمعات، فالصحافة الحرة هي التي حالت دون أن يكون أصل هذه التنظيمات قد جاء من الداخل، بل إن السبب هو في غياب العدالة الاجتماعية على المستوى الدولي، وفي التطبيق المزدوج للقانون الدولي، أما السبب الرئيسي الثاني فهو الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية والمساندة اللامتناهية لهذا الاحتلال ذي الطبيعة الإرهابية، وهذا في الواقع هو خلاصة نظريتين توصل لهما الباحث في دراسة منشورة له باليونسكو عام ٢٠٠٣.

الإعلام والإرهاب والسياسة الخارجية:

تثير النتائج التي انتهت إليها دراسة العلاقة بين الطرفين (الإرهاب والإعلام) عالميًا إلى قضايا تستحق المزيد من الدراسة على المستويين المحلي والإقليمي، حيث تميل هذه الدراسات إلى التأكيد على أن وسائل الإعلام تروج للإرهاب، بتركيزها على إثارة الفزع بين الجمهور والتحذير من مستقبل مجهول، Altheide, 2007 والأهم أن وسائل الإعلام ذات الطبيعة الليبرالية فقدت قدرتها على المقاومة والمعارضة للسياسات الخارجية الأمريكية الجوهرية، وتكاد تستسلم للإدارة الأمريكية، وكأن هناك تحالفًا بين وسائل الإعلام والسياسة الأمريكية لتعزيز وإدامة حالة الفزع لدى الرأي العام، ولذلك لم يكن غريبًا أن يستعين صانعو القرار

الأمريكان أنفسهم بالخطاب الإعلامي لتبرير السياسات الخارجية الرامية إلى تحقيق مشروع القرن الأمريكي الجديد Project for the New American Century (PNAC)، وتشير الدراسات أيضًا إلى أن الإعلام قام بالمزج بين خطاب الإرهاب وخطاب الجريمة المستقر في العقلية الأمريكية بما يعزز من قوة الخطابين معا. وتجد هذه الروية مصداقيتها إذا نظرنا للإعلام الدولي كأداة لتحقيق أهداف السياسة الخارجية، وهي العلاقة التي أكد عليها الكثير من الباحثين، حيث يندر أن تتعارض أهداف الإعلام الخارجي مع أهداف السياسة الخارجية، ومن هنا لنا أن نتصور أن غياب معارضة الإعلام الأمريكي للحرب على الإرهاب كان من شأنها احتلال أفغانستان والعراق.

والواقع أن الإرهاب يمارس عبر عصور التاريخ، إلا أنه أخذ شكلاً مغايرًا في العصر الحديث بسبب علاقته العضوية بوسائل الإعلام، وتحديدًا بحرية الإعلام، ذلك أن محاولة الإرهابيين الاستئثار باهتمام وسائل الإعلام، واهتمام الرأي العام والسياسيين أصبح هو مبرر وجود الإرهاب، والعامل الأساسي لتعزيزه، للدرجة التي لم يعد هناك قيمة للإرهاب في غياب التغطية الإعلامية، ساعد على هذا الاتجاه تبني السياسيين الغربيين لأطروحات الاعتماد المتبادل، ومن هؤلاء مارجريت تاتشر التي حثت الديمقراطيات المعاصرة على حرمان الإرهابيين من أكسجين الإعلام الذي يعتمدون عليه في بقائهم، ومع ذلك يظل الخلاف قائمًا، فعالم الاجتماع الفرنسي Michel Wieviorka (1988) يضع أربعة نماذج للعلاقة بين وسائل الإعلام والإرهاب تشير جميعها إلى سيادة اللامبالاة بين الطرفين، إلا أن النماذج الأربعة تواجه برفض شديد من أصحاب الأطروحات المعارضة حيث يرى Paul Wilkinson أن الإرهاب يعتمد على وسائل الإعلام لترويع الجمهور، ذلك أن الضحية المباشرة للعنف ليست هي في الغالب الهدف من العمل الإرهابي، فإذا لم يكن هناك هدف أصيل لغرس الرعب والفزع بين الرأي العام، لا يمكن وصف العنف بكونه إرهابًا.

وجهات نظر متباينة:

في دراسة شاملة للكتابات الخاصة بالإعلام والإرهاب والتي نُشرت في السبعينيات والثمانينيات تم حصر وجهات النظر الآتية:١) إن وسائل الإعلام هي الأداة الطبيعية التي يعتمد عليها الإرهابيون للدعاية لأغراضهم وسياساتهم. ٢) إن الأثر النفسي لأحداث الإرهاب قد تكون أكثر إيلامًا من الحدث نفسه، وأن هذا الأثر النفسي غالبا ما يكون من إنتاج وسائل الإعلام. ٣) إن الطريق الأمثل لحصول الإرهابيين على الاعتراف الجماهيري والشرعية الجماهيرية هو تبني القيم الخبرية التقليدية مثل قيم الصراع في الدراما، وقيم الإثارة التي تستأثر بالمشاعر Walter B. Jaehning. ٤) إن نجاح أو فشل العمل الإرهابي يعتمد على حجم التغطية الإعلامية المصاحبة له Signorielli and Gerbne،، ليس ذلك فقط بل الأهم هو اللغة التي تعالج بها وسائل الإعلام الإرهاب والمنظمات الإرهابية لأنها ترسم معالم الخطاب السائد لدى الرأي العام، و لذلك تتنافس الجماعات الإرهابية و الحكومات ساعية إلى فرض مفردات خطابها الإعلامي على وسائل الإعلام بما يساعدها في كسب المعركة نفسيًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا، وكما سبقت الإشارة فإن العلاقة بين الإعلام والإرهاب علاقة متينة حيث يعتمد الإرهابيون على وسائل الإعلام كمنتدى لإبلاغ رسالتهم إلى الرأي العام، وهو الأمر الذي ترحب به وسائل الإعلام؛ لأنها تنشر مادة مثيرة تستجيب للاحتياجات الإنسانية للجمهور وللحاجة للمعرفة وإشباع فضول القراء والمشاهدين لقيم الصراع والدراما الحياتية.

المعروف أن أي مقابلة بين الإعلامي ورجل السياسة تدفع الأخير إلى تغذية الرأي العام بالمفردات السياسية كما تعبر عنها لغة السياسي، بنفس المنطق يمكن تصور كيفية تبني الإعلامي للمفردات اللغوية للإرهابي بمجرد إجراء الحديث معه، وهو ما ينعكس بدوره على تبني الرأي العام لنفس الخطاب. فاللغة الإعلامية ليست مجرد رموز لنقل المعاني بقدر ما هي محددات للتصور وللفكر وللحركة، وهذا ما تعبر عنه الحتمية اللغوية التي تؤكد على وجود صلة بين الرموز اللغوية والبناءات الفكرية الناتجة عنها Lockyer,٢٠٠٣ .

وعلى أية حال فإن وجهات النظر الخاصة بالعلاقة بين الإعلام والإرهاب تختلف باختلاف النظر للإرهاب نفسه، والمؤكد أن نظم الإعلام الدولي لم تتفق بعد في رؤيتها لماهية الإرهاب، شأنها في ذلك شأن النظام الدولي نفسه، فما قد يوصف في مجتمع معين بأنه إرهابي قد يوصف في مجتمع آخر بأنه مدافع عن الحرية El-Nawawy, 2005. إلا أن هناك عناصر معينة غالبًا ما تكون موضع تركيز من جانب الإرهابيين وهي الاعتماد الكثيف على وسائل الإعلام، والفشل في التمييز بين المدنيين وغير المدنيين كأهداف مشروعة لهم، واستخدامهم للمدنيين كضحايا بديلة للدولة، واستغلالهم لوسائل الإعلام للدعاية لقضيتهم، إلا أن معظم دراسات الإعلام تكاد تتفق على النظر إلى الإرهاب باعتباره أحد إشكال الاتصال، أو إحدى إستراتيجيات الاتصال بما يعنيه ذلك من أهمية استخدام الرموز الاتصالية المؤثرة في نفسية وعقلية المتلقي، والإرهاب من وجهة نظر هذه الدراسات ليس إلا مسرحًا كبيرًا يحتاج لإعداد فريق الممثلين، والنصوص المسرحية، والعناصر المادية، والإضاءة وغيرها من العناصر التي تجذب الجمهور إلى المسرحية Hammond, 2005. الإرهاب من منظور الاتصال الرمزي أيضًا يستند إلى العناصر المكونة لنموذج الاتصال الذي طوره Lasswel في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي والذي يتكون من خمسة عناصر هي من يقول ماذا لمن باستخدام أية وسيلة لتحقيق أي أثر.

who says what to whom in what channel with what effect،

الجماعات الإرهابية هنا تعتمد على تقديم الرسالة البلاغية ذات الأثر الفعال على الجمهور من خلال أكثر وسائل الإعلام المعاصرة إثارة وتأثيرًا وهي الإنترنت، حيث تقل القيود المفروضة على الإنترنت مقارنة بغيرها، وحيث يصعب فرض الرقابة عليها، وحيث سعة الانتشار وإمكانية الوصول إلى الجمهور عبر الحدود، ولذلك ليس مستغربًا أن تجد الجماعات المسماة بالإرهابية تعمل من خلال مواقع لها على الإنترنت.

ونتيجة لهذه الأهمية حصل عالم النفس Daniel Kahneman على جائزة نوبل مؤخرًا من خلال بحث له حول أثر الإطار الإعلامي Frame في التأثير على القرارات، فقد اعتمد في تجربته العلمية على أثر الاختلاف في المعالجة الإعلامية، والاختلاف في رموز الاتصال في اتخاذ القرار النهائي للمشاهدين، وانتهى إلى وجود علاقات ارتباط قوية بين الأسلوب الذي يقدم من خلاله الحدث الإرهابي والآثار المترتبة عليه من جانب وبين قبول الجمهور أو رفضهم له Reese, 2002 ولذلك لم يكن مستغربًا أن يكون الإطار الذي قدمت من خلاله وسائل الإعلام الأمريكية " الحرب على الإرهاب" هو المفسر الأساسي لقبول الرأي العام لهذه الحرب على الأقل في البدايات الأولى لها، فقد قدمت الحرب بعيدًا عن حجم الخسارة في أرواح المدنيين، وتم تقديم الحرب على أنها ضد أهداف إرهابية محددة مما جعل الرأي العام يؤيد السياسة الأمريكية، فقد صُوِّر صدام على أنه إرهابي على صلة وثيقة بالقاعدة، وقُدِّم للرأي العام على أنه يمتلك السلاح النووي المدمر للعالم، ما جعل الرأي العام يتقبل فكرة الحرب للتخلص منه. إن أداء الإعلام هنا أيضًا يشير إلى أي مدى لم تنجح وسائل الإعلام الأمريكية في تحدي السياسة الأمريكية الخارجية بل قبلتها كما هي من دون نقد، وهذا ما يفسر اعتماد الدول على إستراتيجيات تحول دول انفتاح وسائل الإعلام على مصادر معلومات الحرب أو الأحداث الإرهابية، وقد يصل الوضع ببلد ديمقراطي كالولايات المتحدة إلى أن تغلق كل الطرق أمام وسائل الإعلام لمنع وصول الصحفيين للمعلومات خوفًا مما يسمي **"Vietnam effect"** وهو المصطلح الذي يطلقه البنتاجون إشارة إلى أن وسائل الإعلام كانت سبب خسارة الحرب. أن دلالة ذلك هو وجود صراع بين رغبة الحكومات في السيطرة على تدفق المعلومات إلى الرأي العام من خلال منع الصحفيين من الوصول لمصادر المعلومات، ورغبة وسائل الإعلام في الشفافية وتقديم الأخبار كاملة ودقيقة وفي الوقت المناسب بدون تحريف.

فالعلاقة بين الإرهاب ووسائل الإعلام ذات طبيعة سيكولوجية بالدرجة

الأولى، فالإرهابيون يستخدمون وسائل الإعلام المعاصرة لا كأدوات في ذاتها بل كوسائل لتحقيق غايات معينة، ولذلك يمكن القول بأن علاقة التعايش قائمة بين الإرهاب ووسائل الإعلام منذ أقدم العصور، حيث كان الإرهابيون يختارون المواقع بمهارة تسمح بانتقال المعلومات من فرد لآخر حتى قبل اختراع وسائل الإعلام، والهدف دائمًا هو التخويف من وقوع حوادث إرهابية أخرى، أو الحصول على اهتمام الآخرين، أو تعزيز مكانة قادة الإرهاب. فالتاريخ القديم والمعاصر يؤكد صحة هذه النظرية، الإرهابيون يتخذون أماكن وأزمنة ذات أثر إعلامي بالدرجة الأولى، أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لها دلالة المكان حيث اختيار المواقع الأكثر حساسية، أحداث المواصلات العامة في مدريد، أحداث الإرهاب غالبًا ما تصاحب مؤتمرات قمة الدول الثماني، أو إثناء المباريات الدولية التي يتواجد حشد كبير من الجماهير ذلك أن الإرهاب في التحليل الأخير ليس إلا عملاً دعائيًا بالدرجة الأولى.

ولذلك يرى Martin, 2005 John وهو أستاذ له أثر كبير في دراسات الإعلام " أن هناك درجة عالية من التشابه بين الإرهاب والدعاية، فكلاهما تعبير عن رسالة إعلامية، وكلاهما يهدف إلى الإقناع، وكلاهما لا يعتمد على مخاطبة العقل، بقدر مخاطبة المشاعر، وكلاهما يستفيد من الاتصال الرمزي وغير الرمزي، وكلاهما يعبر عن مضامين واتجاهات سلبية نحو من يوصف بهما، أما لماذا هذا الربط بين الدعاية والإرهاب أو لماذا تسعى الجماعات المسماة بالإرهابية دائمًا إلى الدعاية من خلال وسائل الإعلام واسعة الانتشار، والإجابة ببساطة أن المستهدف من العمل الإرهابي ليس هو الضحية المباشرة، بل طرف ثالث تسعى الجماعات الإرهابية للوصول إليه برسالتها، فما لم يكن هناك طرف ثالث غير الضحية انتفى وجود الإرهاب أصلاً. وبناء عليه إذا كانت الضحية والطرف المستهدف من العمل الإرهابي شخصًا واحدًا يصعب وصف العمل بالإرهاب، فحدثا اغتيال الرئيس كنيدي واغتيال الرئيس السادات في ظل هذا التعريف يصعب وصفهما بالإرهاب وذلك لأن الضحية والشخص المستهدف واحد.

فالإرهاب يمكن تعريفه هنا – ولأغراض هذه الورقة- بأنه الاستخدام العمدي والمنظم للعنف أو التهديد باستخدامه ضد أهداف إنسانية (ج) وذلك في إطار صراع بين طرفين هما (أ) و (ب)، أو أكثر من طرف حيث لا يستطيع الطرف الضحية (ج) والذي غالبًا ما لا يكون طرف في الصراع أن يعزل نفسه عن الصراع. ويتفق Wardlaw مع هذا التصور حيث يقول إن الرعب في ذاته لا يمثل إرهابًا ولكن الإرهاب يقوم على الرعب والفزع كرسالة أو فعل رمزي للتأثير في السلوك السياسي، من خلال وسائل غير عادية تقوم على توظيف العنف أو التهديد باستخدامه، المهم أن الضحية تمثل طرفًا ثالثًا لا أصيلاً في العمل الإرهابي. ولذلك تعتمد الجماعات المسماة بالإرهابية بشكل جوهري على وسائل الإعلام ذات النفوذ إما كضيوف في حلقات البرنامج، وإما من خلال إذاعة الأحاديث المصورة و إما عبر تقديم ضحاياهم للجمهور، هذا بالإضافة إلى سعي وسائل الإعلام لتقديم الحدث نفسه لحظة وقوعه، و الملاحظ أيضًا أن هناك بعض الحقائق التي قد لا يختلف بشأنها اثنان مثل زمان ومكان وقوع الحدث، وربما عدد الضحايا إن كان واضحًا وما شابه، وبخلاف ذلك يختلف الخطاب الإعلامي ويتلون بلون الاتجاه الذي تتبناه الصحيفة أو القناة التليفزيونية تجاه الجماعات الإرهابية، فهناك من يصف الحدث باعتباره عملاً انتحاريًا، وهناك من يراه عمليات استشهادية أو اغتيالات أو جرائم أو أعمال تخريب أو إرهاب وهكذا. في كل الأحوال العلاقة بين الإعلام والإرهاب علاقة عضوية لأن جوهر الإرهاب هو العلانية، فالمجرم عادة ما يبتعد عن الأضواء ويحافظ على السرية، في حين يستخدم الإرهابي كل الأساليب الممكنة لتحقيق الذيوع والانتشار، وهذا هو ما دفع Martin إلى القول بأن أي محاولة لتعريف العمل الإرهابي يتطلب أن تكون الإجابة على التساؤلات الآتية بالإيجاب...

١. هل العنف أو التهديد باستخدام العنف السياسي يمثل حدثًا أو فعلاً مقصودًا ومنظمًا وعامًا أي جماهيريًا"؟

٢. هل هو وسيلة لغاية معلنة أو ضمنية وليس مجرد حدثًا في ذاته؟

٣. هل هناك مستفيدون آخرون -غير مرتكبي الحدث-؟ فإذا كان خاطف الضحية يمكن أن يحررها مقابل بعض الأموال التي يحصل عليها هو شخصيًا فلا يمكن تسمية ذلك إرهابًا.

والواقع أن هذه الخصائص الثلاثة أيضًا ليست بكافية من وجهة نظر Martin لتعريف الإرهاب ذلك أن الولايات المتحدة تستخدم العنف المنظم والمقصود وبشكل معلن بما يحقق الشرط الأول من التعريف، كما أنها لا تستخدمه لذاته، ولكن بغية الوصول لأهداف إستراتيجية بما يحقق الشرط الثاني، كما أن مرتكبي العنف المنظم ليسوا هم المستفيدون المباشرون من هذا العنف، بل أسرهم وعائلاتهم وغيرهم من المواطنين. على هذا النحو يمكن وصف الحروب التي تشنها الولايات المتحدة بالإرهابية، إلا أن Martin ينفي أن تكون أعمل العنف المنظم "الحروب" الأمريكية ذات صلة بالإرهاب من قريب أو من بعيد، وذلك لأنه يرى فيها تمثيل لجهة سياسية منظمة "الدولة". إلا أن من المؤكد – في رأي الباحث – أن ما تقوم به الولايات المتحدة هو الإرهاب بعينه، بل هو أعلي درجات صور الإرهاب الممزوج بأقوى طرق التفاعل والتعايش مع وسائل الإعلام لتضليل الرأي العام وتشويه الحقائق من خلال بناء صور إعلامية لا تمت للواقع بصلة، والخلاصة أنه لا يمكن أن تنتفي صفة وتهمة الإرهاب عن صاحبه نتيجة لانتمائه لكيان سياسي معترف به دوليًا "الدولة" وقصره فقط على الكيانات السياسية غير المعترف بها دوليًا " الجماعات السياسية" فالعبرة بالأفعال وطبيعتها ونتائجها لا بالانتماء السياسي لمن يقومون بها وما إذا كان هذا الكيان معترف به دوليًا أم لا، فإرهاب الدولة في الوقت الحاضر أبشع وأبلغ في استخدامه الماكر للدعاية من أجل الوصول لأهدافه من إرهاب الأفراد والجماعات.

لماذا يلجأ الإرهابيون لوسائل الإعلام؟

يقدم لنا Wilkinson (1997) أربعة أهداف تفسر استخدام الإرهابيين لوسائل الإعلام وهي: ١) تقديم مادة دعائية تسمح بتحقيق الرعب والخوف والقلق لدى الجماعات المستهدفة، وذلك بالتركيز على حجم الخسائر في الأرواح والخسائر المادية والتحذير من المستقبل المجهول. ٢) السعي من أجل الحصول على تأييد الرأي العام الدولي، ومناصرة قضاياهم، وكسب تعاطف الجماعات المؤثرة في الرأي العام وشرح وجهة نظرهم وأوجه الظلم الواقع عليهم والتأكيد على قدرتهم في تحقيق النصر في المعركة. ٣) إحباط معنويات العدو وبالتحديد الحكومات المستهدفة من العمل الإرهابي وإشاعة روح اليأس بين قوات الأمن المناوئة. ٤) مخاطبة الجماعات ذات الاهتمام المشترك ومن ثم تعبئة قطاع أوسع من الجماعات المنظمة والتحالف معها، وتجنيد عناصر جديدة بل والحصول على الدعم المادي والمعنوي واللوجستي اللازم لشن عمليات جديدة. ويبدو أن التغطية الإعلامية للإرهاب يمكن أن تؤدي إلى ١) الإحساس بالخطر على المستوى الفردي، والامتناع عن التنقل والسفر. ٢) الضغط النفسي على الحكومات التي تتعجل بمواجهة الإرهابيين بما في ذلك من إجراءات لتقييد الحريات الشخصية. إلا أن التغطية الإعلامية كما انتهت Nacos من خلال تحليل مضمون التغطية الإعلامية للإرهاب لا يمكن أن تساعد في إضفاء شرعية على الإرهاب في الوقت الذي يمكن أن تؤثر فيه على تركيز اهتمام الجمهور على قضايا الإرهاب، بالإضافة إلى التأثير في اتجاهات الرأي العام وتحديدًا نحو مزيد من فهم الدوافع السياسية للإرهاب.

في كل الأحوال لا يمكن إنكار وجود علاقة المنفعة المشتركة بين الإرهابيين ووسائل الإعلام، فالإرهابيون يحققون الكثير من خلال ظهورهم في شاشات التليفزيون وعلى صفحات الجرائد، حيث يعرفون بأنفسهم ويدافعون عن قضاياهم وشرعيتهم، وفي المقابل فإن وسائل الإعلام تحقق الكثير لتقديمها قصص إنسانية ودراما من أرض الواقع تقود بالضرورة إلى رفع معدل المشاهدة والانقرائية.

المدارس العلمية لدراسة العلاقة بين الخطاب الإعلامي والإرهاب:

مع ارتفاع وتيرة وأثر الإرهاب عالميًا بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ اتجه الباحثون لدراسة الجوانب المختلفة للإرهاب، ومن بينها العلاقة بين الإرهاب والخطاب الإعلامي، حدث ذلك في معظم الجامعات ومراكز البحوث باستثناء العالم العربي، هذا على الرغم من كونه الأجدر بتوجيه الاهتمام لدراسة الظاهرة ذلك أن العالم الغربي غالبًا ما يوجه أصابع الاتهام دائمًا إلى جماعات عربية أو إسلامية وغالبًا ما يربط بين العنف والإرهاب من جانب، والعرب والإسلام من جانب آخر، ما يستدعي الاهتمام الأكاديمي الإعلامي العربي.. إلا أن هذا لم يحدث لندرة أو اختفاء مراكز البحوث الأكاديمية العربية، وكذلك فرق البحث التي يمكن أن تقود مثل هذه الأعمال، ولذلك يحزن المرء حينما يجد أن معظم، إن لم يكن كل، التراث العلمي لدراسة هذا الموضوع ذو طبيعة غربية. وقد بدأ الاهتمام الغربي بدراسة الإعلام من منظور أنه احد صور الإعلام، بل أنه إحدى إستراتيجيات الإعلام التي تأخذ سمات بعينها منها قوة الأثر الإعلامي الناتج عن دراما العنف الواقعي التي تتشابه مع دراما مسلسلات وأفلام هوليود الأمريكية التي تحظى بأعلى معدل للمشاهدة عالميًا Biernatzki, 2002.

والواقع أن العمل الإرهابي في مجمله في حاجة إلى تحليل من **منظور نماذج الاتصال**، فهناك مصدر للرسالة هو صحاب الفكر الإرهابي ومنظره، وهناك مرسل للرسالة وهو القائم بالتفجيرات، وهناك الرسالة وهي الحدث نفسه والذي يتم اختياره في مواقع بعينها تحقق أعلى درجة من التأثير الإعلامي على الرأي العام، وهناك متلقي الرسالة وهو الجمهور الضحية: القتلى والجرحى، وهناك المستهدف النهائي من الرسالة الإعلامية الإرهابية وهو في الغالب الحكومات والدول كطرف ثالث، بالإضافة إلى التأثير وهو من النوع العنيف الذي يهز كيان المجتمع ويثير الرعب والفزع بين كافة فئات الرأي العام، وأخيرًا هناك التغذية الاسترجاعية بما تعنيه من سياسات وقرارات وإجراءات تتخذها الدول المعنية والمساندة للإرهاب أيًا كان نوعها، وهي في الغالب ما تكون أبعد من الالتزام بالقانون الدولي حيث

تميل هي الأخرى إلى أن تأخذ طابعًا إرهابيًّا، فغزو واحتلال أفغانستان، والعراق، والعمليات الأمريكية في الصومال والسودان وغيرها لا يخرج في التحليل الأخير وفقا لنموذج الإعلام الإرهابي عن كونه إرهاب دولة في مقابل إرهاب جماعات منظمة أو غير منظمة. إلا أن الوضع يختلف كثيرًا في حالة الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين الذي يمثل أعلى درجات إرهاب الدولة، فيما تمثل المقاومة الفلسطينية دفاعًا شرعيًّا عن الحقوق المشروعة التي باعها العرب لإسرائيل. وللأسف فإن دراسات الإرهاب من منظور الإعلام في المجتمع الأمريكي تقلب هذه الصورة رأسًا على عقب حيث تقدم المجتمع الإسرائيلي باعتباره الضحية والمقاومة الفلسطينية على أنها الإرهابي.وفيما يتعلق بالأثر النهائي للتغطية الإعلامية للإرهاب على الرأي العام توجد نظريتان نناقشهما باختصار فيما يلي:

أولا: نظرية العلاقة السببية بين الخطاب الإعلامي والإرهاب:

التغطية الإعلامية للإرهاب وفقًا لهذه النظرية تقود إلى انتشار عدوى الإرهاب، حيث تتعاظم وتتكاثر العمليات الإرهابية كنتيجة طبيعية للتغطية الإعلامية، وتنقسم التأثيرات الإعلامية وفقًا لهذه المدرسة إلى ثلاثة أنواع، هي: الوعي والتبني، وانتشار العدوى، والوساطة، وإذا كانت الوساطة تعني إمكانية وجود تدخل فعلي من جانب الصحفيين في الوساطة بين الإرهابيين ورجال الشرطة أو المسئولين بالدولة، فإن أثر انتشار العدوى يعني أن التغطية الإعلامية تفرز المزيد من العمليات الإرهابية، أما الوعي والتبني فيشيران إلي أن التغطية الإعلامية لحوادث الإرهاب ترفع مستوى وعي الجماهير عامة والجماعات الأكثر ميلاً للإرهاب خاصة، وتمدهم بالأساليب الممكنة لتنفيذ عمليات أخرى ما كان لها أن تقع في غياب التغطية الإعلامية. وإذا كان ذلك كذلك، أي إذا كانت التغطية الإعلامية تقود بالضرورة إلى زيادة الأوضاع سوءًا أو على الأقل أكثر احتمالاً لأن تقود إلى سوء الأوضاع، كان على الحكومات أن تقيد وسائل الإعلام وأن تحد من حركتها وأن تحول دون وصول الإعلاميين إلى الإرهابيين كمصادر للمعلومات.

نظرية العلاقة السببية بين الطرفين تدعو إلى المزيد من القيود على وسائل الإعلام، وتفترض النظرية أن وسائل الإعلام ترتبط عضويًا بالإرهاب، Barnhurst 1991 فالعلاقة بين الطرفين تأخذ شكلاً دائريًا لا ينتهي، فالإرهاب يعتمد على الإعلام لتحقيق المزيد من الفزع بين الرأي العام والشرعية لدى السلطة، والإعلام يعتمد في وجوده في المجتمع الليبرالي على تغطية الإرهاب لتقديم المثير والدرامي وكسب قطاعات أوسع من الرأي العام والمبيعات بما يقود إلى المزيد من العمليات الإرهابية وهكذا في دائرة لا تنتهي. ويدعو أنصار النظرية الحكومات إلى وضع القيود على وسائل الإعلام لمنع التغطية بما يخلق المزيد من مشكلات المصداقية – مصداقية الحكومات ووسائل الإعلام معا لدى الرأي العام، هذا التصور العلمي أيضًا يرى في وسائل الإعلام ضحية للإرهاب لأنها إما أن تتناول الحدث فتحقق أثرًا نفسيًا مروعًا وربما أفدح من الحدث الإرهابي نفسه، وإما أن تتجاهله بفعل القيود الحكومية فتفقد مصداقيتها، في الوقت الذي يلجأ فيه الإرهابيون لمصادر أخرى يحققون من خلالها أهدافهم، الإعلام الحر إذا هو الذي يربط بين الإرهابيين والحكومات والرأي العام، وهي نوع العلاقة التي يستفيد منها الإرهابيون.

خرافة العلاقة السببية:

لم تقتنع Hocking بتصور العلاقة السببية بين الإعلام والإرهاب ووجهت اهتمامها إلى التركيز على ما أسمته الأساطير الثماني في أدبيات الإرهاب، وهي: أن الإرهاب يتجه حتمًا نحو الحكومات، وأن هدفه هو إشاعة الفوضى، وأن الإرهابيين ليسوا إلا مجانين، وأن كل أفعال المتمردين يدخل في دائرة الإرهاب، وأن الحكومات دائمًا ما تعادي الإرهاب غير الحكومي، وأن الإرهاب يرتبط بالظروف السياسية المحلية، وأن الإرهاب عمل إجرامي لا سياسي، وأن الإرهاب السياسي إستراتيجية غير مجدية. ثم أضافت Hocking أسطوره تاسعة وهي أن الإرهاب يعتمد في نجاحه على التغطية الإعلامية. وهكذا واجهت النظرية السابقة هجومًا شديدًا من جانب أغلب الباحثين الذين أنكروا وجود أدلة علمية قاطعة تثبت العلاقة السببية

إلا أن دراسة أستاذًا الاقتصاد Frey & Rohner, 2006 بعنوان " Blood and Ink: The Common Interest Game between Terrorist and the Media" والتي أُجريت عام ٢٠٠٦ لاختبار نظرية مباراة المصالح المشتركة والمكاسب المتساوية للطرفين الإرهابيين والإعلاميين قدمت من خلال تحليل علمي منفرد لحوادث وعدد القتلى والجرحى من جانب وعدد القصص الخبرية المنشورة في نيويورك تايمز من جانب آخر.. قدمت دليلاً قويًا على وجود علاقة سببية بين معدل النشر الصحفي عن حوادث الإرهاب من ناحية وتكاثر حوادث الإرهاب ذاتها من ناحية أخرى.

ثانيا: الخطاب الإعلامي والإرهاب والعلاقات المتباعدة

المدرسة العلمية الثانية والمقابلة لفكر المدرسة الأولى ترى أنه لا يوجد دليل علمي على أن التغطية الإعلامية للإرهاب هو المسئول عن مضاعفة العمليات الإرهابية، وأنه لا علاقة قائمة بين المتغيرين. فبعد دراسة متأنية للعديد من الدارسات – هكذا يقول أصحاب هذه المدرسة- لم نصل إلى ما يثبت علميًا، أي باستخدام قواعد المنهج العلمي إلى وجود علاقة بين التغطية الإعلامية للإرهاب وانتشار حوادث الإرهاب. ومع ذلك من الشائع أن نجد السياسيين ورجال الإعلام، والجمهور العام يتحدثون عن التغطية الإعلامية على أنها أحد الأسباب المسئولة عن تعدد وتنوع الحوادث الإرهابية، ويدعو أصحاب هذه النظرية إلى عدم التدخل في أداء وسائل الإعلام عامة وفي علاقتها بالإرهابيين خاصة، لأنه من غير المحتمل أن تكون ثمة علاقة بين الطرح الإعلامي لقضايا الإرهاب وزيادة معدله، أو الآثار السلبية على الرأي العام، ويصل أنصار هذا الاتجاه إلى التطرف في القول حينما يؤكدون أن حرمان ما يسمو بالإرهابيين من الوصول إلى وسائل الإعلام هو المسئول عن زيادة معدل الإعلام لأن الإرهابي يريد أن تصل رسالته على الطرف الثالث وما لم تصل من خلال الإعلام، فسيعتمد على تكرار الحدوث وعلى استخدام وسائل أكثر بشاعة وعلى انتقاء أماكن وأزمنة تتاح له فيها إحراز خسارة

أكبر بما يجعل رسالته تحقق الهدف منها. وهنا يستشهد بعض الباحثين بمقولة لأحد عناصر الإرهاب عندما قال: "إذا كان إلقاء الزهور في الميادين العامة يمكن أن يصل بقضيتنا إلى المستهدف منها لتوقفنا عن إلقاء المتفجرات".

.Paletz, & Schmid, 1992

السياسات الإعلامية والإرهاب:

من الواضح أن العمليات الإرهابية أدت إلى فرض القيود على الحريات الصحفية والتي تراوحت بين القيود المؤقتة على حرية الوصول للمعلومات، إلى فرض الرقابة الشديدة على حركة الإعلاميين، إلا أن مثل هذه القيود لا تلقى قبولاً في المجتمعات الديمقراطية لأنه أيًا كان الضرر المترتب على حرية الإعلام في علاقته بالإرهاب فإن تقييد الحريات الصحفية يمثل أبشع الضرر لأنه يقف ضد حق الفرد في المعرفة. إلا أن الواقع يؤكد أن معظم المجتمعات تفرض قيودًا على حرية الصحافة وعلى حق الفرد في المعرفة – حدث هذا مرارا عندما حاولت الولايات المتحدة رسميًا منع قناة الجزيرة من تغطية وقائع عملياتها الإرهابية ضد المقاومين العراقيين والأفغان، كما حدث مرارًا لمنع إذاعة أحاديث بن لادن لما تفترضه من أضرار محتمله مترتبة على الإذاعة. أما الحكومات العربية، فوضعها مختلف تمامًا حيث تفرض حالات الطوارئ وتعتمد على حكم القوانين الاستثنائية ضاربة عرض الحائط بحرية الصحافة وحق الفرد في المعرفة التي تأتي دائمًا في ذيل قائمة الاهتمامات. أما السياسات التي يمكن أن تتبعها الحكومات حيال العلاقة بين وسائل الإعلام والإرهاب، فهي: أولا: منع التدخل في الشأن الإعلامي وترك الإعلام حر يحقق رسالته في التعريف بما يحدث وإجراء المقابلات مع من يشاء أخذًا في الاعتبار وعي المجتمع الذي يستطيع أن يفرق بين ما ينفه وما يضره، فالمسئولية تقع كاملة على عاتق متلقي الرسالة. أما البديل الثاني فهو قدر من القيود الصحفية تقيد من حركة الصحفيين في الوصول إلى الإرهابيين وفي معالجة أخبارهم على أن

يكون ذلك في حدود ما رسمه القانون الطبيعي، ويرتبط البديل الثالث بالمسئولية الذاتية من قبل الصحفيين الذين يقدرون من وازع ضميرهم وإحساسهم بالتأثيرات الضارة لإضفاء الشرعية على الإرهابيين بما يدفعهم إلى المعالجة الحساسة لقضايا الإرهاب Paletz, & Schmid, 1992 .

الخلاصة:

لا يميل الباحث إلى قبول أي من وجهتي النظر السابقة، فالخطاب الإعلامي للإرهاب لا يرتبط حتما بعلاقة سبب ونتيجة بالعمليات الإرهابية، كما أنه لا ينفصل عنها، ولكن هناك علاقة من نوع ما في ظل ظروف مجتمعية معينة، وكما سبقت الإشارة فإن حرية النظم الإعلامية لا يمكن أن تفهم على أنها سبب للإرهاب، بل أن الغياب الحقيقي للحرية في المجتمع بصفة عامة، وفي النظم الإعلامية بصفة خاصة هو الأجدر لتفسير الإرهاب، كما أن الغياب الحقيقي لحرية الصحافة والتعبير هو الكفيل بتنمية فكر التطرف الذي يتحول فيما بعد إلى فكر ذو طبيعة إرهابية، إلا أن الباحث لا يختلف بالمرة مع الدراسات العلمية الرصينة الخاصة بأطر المعالجة الإعلامية وأثرها في بناء رأي عام معين يؤيد أو يعارض استخدام العنف، فالدعاية المنظمة من قبل الجماعات المسماة بالإرهاب، أو الدول الراعية له، أو المنفذة له تحت مسميات مختلفة لها أثرها البالغ في دفع الرأي العام لتفهم الدوافع السياسية الكامنة خلف مثل هذه العمليات وفي بعض الأحوال لقبول هذه العمليات ومساندتها. فالجماعات الإرهابية مثلها في ذلك مثل الدول الإرهابية تعتمد على الإعلام كوسائل وكغايات للوصول لأهدافها، إلا أن ذلك لا يعني أبدًا تقييد حرية الصحافة في التغطية الإعلامية، لأن حجم الضرر المتوقع من تقييد الحريات أبشع من حجم الإيجابيات، ناهيك عن انتفاء جدوى الرقابة أو القيود في ظل ثورة المعلومات التي تتيح للجميع التحرر من القيود التقليدية التي تفرضها الحكومات على وسائل الإعلام التقليدية.

References:

- Stephen D. Reese, 2002, Framing Terrorism, retrieved from academic search premier, November, 2007.
- Lockyer, Adam, 2003, The Relation between the Media and Terrorism, retrieved from academic search premier, November, 2007.
- Hammond, Philip, The Media War on Terrorism, 2005, *Journal for Crime, Conflict* 1 (1).
- David, Altheide, 2007, The Mass Media and Terrorism, Discourse and Communication, Vol. 1 Issue: Number 3.
- Frey, Bruno, Rohner, Dominik, 2006, Blood and Ink: The Common – Interest Game between Terrorists and the Media, Institute for Empirical Research in Economics, Working Paper Series.
- El- Nawawy, Mohammed, 2004, Terrorist or Freedom Fighter? The Arab Media Coverage of "Terrorism" or "So-Called Terrorism, Global Media Journal, Issue N.5, Vol.3.
- Martin, John, L, 2005, The Media's Role in International Terrorism, retrieved from academic search premier, October, 2007.
- Biernatzki, William, E, 2002, Terrorism and Mass Media, Communication Research Trends, Volume 21, No.1.
- Hamada, Basyouni, I, 2003, Media, Violence, and Terrorism in the Arab World, in Boafo, Kwame, Coudray, Sylive, Media, Violence and Terrorism, UNESCO.
- Paletz, David, Schmid, Alex, 1992, Terrorism and the Media, Newbury Park, London, New Delhi, Sage Publications.
- Edy, Jill, Meirick, Patrick, 2005, Wanted, Dead or Alive: Media Frames, Frame Adoption, and Support for War In Afghanstan, Journational of Communication, ISSN 0021-9916.